

تفسير السعدي

@ 275 @ لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان الله يوصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون *

وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون * وقالوا ه ذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون * وقالوا ما في بطون ه ذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزوانا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم * قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) ^ يخبر تعالى ، عما عليه المشركون المكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم ، من سفاهة العقل ، وخفة الأحلام ، والجهل البليغ . وعدد تبارك وتعالى شيئا من خرافاتهم ، لينبه بذلك ، على ضلالهم ، والحذر منهم ، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق ، الذي جاء به الرسول ، لا تقدر فيه أصلا ، فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق . فذكر من ذلك أنهم ^ (جعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) ^ ولشركائهم من ذلك نصيبا . والحال أن الله تعالى ، هو الذي ذرأه للعباد ، وأوجده رزقا ، فجمعوا بين محذورين محظورين بل ثلاثة محاذير . منتهم على الله ، في جعلهم له نصيبا ، مع اعتقادهم أن ذلك منهم ، تبرع . وإشراك الشركاء ، الذين لم يرزقوهم ، ولم يوجدوا لهم شيئا في ذلك . وحكمهم الجائر ، في أن ما كان لله ، لم يبالوا به ، ولم يهتموا ، ولو كان واصلا إلى الشركاء . وما كان لشركائهم اعتنوا به ، واحتفظوا به ، ولم يصل إلى الله منه شيء . وذلك أنهم إذا حصل لهم من زروعهم وثمارهم وأنعامهم ، التي أوجدها الله لهم شيء ، جعلوه قسمين : قسما قالوا : هذا لله بقولهم وزعمهم ، وإلا فإنا لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه ، ولا يقبل عمل من أشرك به . وقسما ، جعلوه حصة لشركائهم من الأوثان والأنداد . فإن وصل شيء مما جعلوه لله ، واختلط بما جعلوه لغيره ، لم يبالوا بذلك . وقالوا : الله غني عنه ، فلا يردونه . وإن وصل شيء مما جعلوه لآلهتهم إلى ما جعلوه ، رده إلى محله . وقالوا : إنها فقيرة ، لا بد من رد نصيبها . فهل أسوأ من هذا الحكم . وأظلم ؟ حيث جعلوا ما للمخلوق ، يجتهد فيه وينصح ، ويحفظ ، أكثر مما يفعل بحق الله . ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة ، ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن الله تعالى أنه قال : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من أشرك معي شيئا تركته وشركه) . وأن معنى الآية أن ما جعلوه ، وتقربوا به لأوثانهم ، فهو تقرب خالص لغير الله ، ليس منه شيء . وما جعلوه لله على زعمهم فإنه لا يصل إليه لكونه شركا ، بل يكون حظ الشركاء

والأنداد ، لأن ا غني عنه ، لا يقبل العمل الذي أشرك به معه أحد من الخلق . ومن سفه
المشركين وضلالهم ، أنه زين لكثير من المشركين شركاؤهم أي : رؤوساؤهم وشياطينهم قتل
أولادهم ، وهو : الوأد ، الذين يدفنون أولادهم وهم أحياء خشية الافتقار ، والإناث خشية
العار . وكل هذا من خدع الشياطين ، الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك ، ويلبسوا عليهم
دينهم ، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح . ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم ، حتى تكون
عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة . . ولو شاء ا أن يمنعهم ، ويحول بينهم وبين
هذه الأفعال ، ويمنع أولادهم عن قتل الأبوين لهم ، ما فعلوه . ولكن اقتضت حكمته ، للتخلية
بينهم وبين أفعالهم ، استدراجا منه لهم ، وإمهالا لهم ، وعدم مبالاة بما هم عليه ، ولهذا
قال : ^ (فذرهم وما يفترون) ^ أي : دعهم مع كذبهم وافتراءهم ، ولا تحزن عليهم ، فإنهم
لن يضروا ا شيئا . ومن أنواع سفاهتهم أن الأنعام التي أحلها ا لهم عموما ، وجعلها
رزقا ورحمة ، يتمتعون بها ، وينتفعون ، قد اخترعوا فيها بدعا وأقوالا ، من تلقاء أنفسهم
 . فعندهم اصطلاح في بعض الأنعام والحرث أنهم يقولون فيها : ^ (هذه أنعام وحرث حجر) ^
أي : محرم ^ (لا يطعمها إلا من نشاء) ^ أي : لا يجوز أن يطعمه أحد ، إلا من أردنا أن
نطعمه ، أو وصفناه بوصف من عندنا . وكل هذا بزعمهم لا مستند لهم ولا حجة ، إلا أهويتهم ،
وآراءهم الفاسدة . وأنعام ليست محرمة من كل وجه ، بل يحرمون ظهورها ، أي : بالركوب
والحمل عليها ، ويحرمون ظهرها ، ويسموننها الحام . وأنعام لا يذكرون اسم ا عليها ، بل
يذكرون اسم أصنامهم ، وما كانوا يعبدون من دون ا عليها ، وينسبون تلك الأفعال إلى ا ،
وهم كذبة فجار في ذلك . ^ (سيجزيهم بما كانوا يفترون) ^ على ا ، من إحلال الشرك ،
وتحريم الحلال ، من الأكل ، والمنافع . ومن آرائهم السخيفة أنهم يجعلون